

ظاهرة الاعتناء بالأنساب الشريفة بمنطقة معسكر

أبوراس الناصر والعربي المشرقي أنموذجا

تقي الدين بوكعب

طالب دكتوراه بجامعة أحمد بن بلة وهران 01

ملخص :

تكتسي كتب الأنساب ومدوناتها عموما أهمية كبيرة وذلك لشمولييتها وسعيها إلى التأريخ لعموم الفروع الشريفة ، كما تعتبر من المصادر التاريخية الهامة التي من خلالها يمكن وضع تصور عام للمجتمع الجزائري خلال فترة التواجد التركي بالمنطقة ، هذا المجتمع الذي كان يولي عناية خاصة لكل من ينتسب للبيت النبوي الشريف ما جعل البعض ينتسب إليه للاستفادة من بعض الإمتيازات. إن الهدف من هذه المقالة هو النظر في حركة التأليف في الأنساب الشريفة بمنطقة معسكر وكيفية توثيقها ورصد مختلف مصادر الأنساب بالمنطقة ومحاولة تصنيفها وفق مضامينها ومحاولة معرفة المنهجية التي كتبت بها . كما يهدف هذا المقال إلى التسلط الضوء على الجدل الفكري الذي حدث آنذاك خاصة بين الشيخ أبي راس الناصر والعربي المشرقي فيما يخص نسب أشرف غريس ومعرفة حجج كل طرف .

مقدمة

اهتم العرب منذ الجاهلية بعلم الأنساب ، وتواصل هذا الاهتمام بعد الإسلام ، مركزين على بيت النبوة . ولقد أولى المغاربة عموما و الجزائريون خصوصا و سكان منطقة الراشدية بشكل خاص عناية تامة وكاملة للمنتسبين لهذا البيت ، الذين فروا إلى المنطقة من القتل الذي تعرضوا له في المشرق الإسلامي. يحتل التأليف في الأنساب الشريفة بمنطقة معسكر ضمن ما ألف في الأنساب بالجزائر عموما المراتب الأولى و الحظ الأوفر وهذا راجع لعوامل تاريخية واجتماعية و دينية تتمثل في بروز عدة أسر شريفة بالمنطقة جمعت إضافة إلى النسب العلم و السيف . و نتيجة للقداسة التي أحيط بها المنتسبون لهذا البيت كثر ادعاء الإنتساب إليهم لأغراض سياسية و مطامع دنيوية ، ما أدى إلى ظهور نسابة حاولوا تحقيق الشريف من غير الشريف . مما أدى إلى حدوث صراعات فكرية و ردود علمية بين النافين لشرف بعض الأسر و المدافعين عنها .

يمكن تقسيم مؤلفات الأنساب الخاصة بمنطقة معسكر إلى قسمين حسب الإقليم الذي تخصصت فيه أو حسب الأسر

التي تحدثت عنها

1 – مؤلفات الأنساب المتخصصة في الأقاليم :

أ عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس :

لأبي زيد عبد الرحمن التوجيني وقفت على ثلاث نسخ منه فبينها اختلافات يسيرة وقد طبع بدار القاسمي لكنه يحتاج لتحقيق أكبر . النسخة الأولى وهي من نسخ الشيخ البشير يوم الأربعاء 29 رمضان 1380 هـ / 15 مارس 1962 ،

تقع في 8 لوحات. النسخة الثانية في 9 لوحات تام و يظهر في الآخر أن الذي نسخها هو العربي بن احمد المشرفي .
النسخة الثالثة مبتورة الأخير تقع في 10 لوحات . لهذا الكتب عدة شروح منها فتح الرحمن في شرح عقد الجمان لابن
الجوزي المزيلي يقع هذا الشرح في 404 صفحة وهو مبتور الأخير وكذا شرحه أبو راس لكن شرحه هذا في حكم المفقود و
اسمه إيضاح الغميس و أنوار البرجيس بشرح عقد الجمان النفيس.

ب مخطوط لأبي راس الناصر في النسب :

لا يحمل هذا المخطوط عنوانا قام بنسخه السيد جلول الجيلالي يوم الخميس 14 مارس 1978 عدد صفحاته
14 صفحة ، ذكر فيه صاحبه نسب النبي الأعظم صل الله عليه واله وسلم و بعض مناقب الزهراء ثم عرج إلى نسب إدريس
الأصغر بن إدريس الأكبر .

ثم بعد ذلك تطرق لأنساب أشرف معسكر فتحدث عن نسب سيدي بن يخلف و سيد محمد بوجلال و سيدي دحو
بن زرفة و سيدي احمد بن علي و سيدي عمر بن دوبة و سيدي محمد بن يحي و سيدي قادة بن مختار .

ج – القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم :

نشر هذا المخطوط ضمن مجموع الحسب لابن بكار بلهاسمي وقد اطلعت على نسخة مخطوطة منه و بعد
المقارنة بالمطبوعة تبين لي أنها نفسها , جاء هذا الكتاب في مقدمة و ثلاث فصول

أما المقدمة ضمنها أسباب و دواعي تأليف الكتاب و هو الاضطراب في أنساب الحشم و كثرة الخوض في أنسابهم و أوضح في
مقدمته أنه سيقصر على ذكر الرؤساء و الفضلاء و أعيان الأشراف .

الفصل الأول ذكر فيه أشرف غريس وهم أولاد سيدي دحو بن زرفة و سيد أحمد بن علي و سيدي محمد بن يحي مقرر الجن
و المشارف و مهاجرة و سيدي أحمد الورغي و السيد العين بن الماقي و سيد عبد القادر بن المختار ، أما الفصل الثاني
تحدث عن العرب موجودين بناحية غريس الذين ليسوا بأشراف ، أما الفصل الثالث خصصه لقبائل الزناتة الموجودين
بالمنطقة و يرى الطيب بن المختار أنهم أقدم من العرب بالمنطقة .

2- مؤلفات الأنساب المتخصصة في الأسر :

أ – يا قوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي ملولى محاجة

وقفت على نسختين لهذا المخطوط الأولى نسخة المكتبة العامة بالرباط تحت رقم 1534 كتبة بخط مغربي
واضح عدد صفحاتها 180 صفحة أما النسخة الثانية فهي نسخة لمكتبة الوطنية الجزائرية بخط مغربي عدد صفحاتها
38 صفحة وهي التي اعتمد عليها .

ضمنها مقدمة و أربعة أقسام

أما المقدمة بين فيها دواعي هذا التأليف و ذكر اسم الكتاب ، تطرق في القسم الأول إلى نسب سيدنا محمد صل
الله عليه وآله وسلم و الخلفاء الراشدين و تطرق في القسم الثاني إلى التعريف بمولانا الحسن رضى الله عنه في القسم
الثالث أشار إلى ذرية سيدنا الحسن تحدث بالخصوص عن شرفاء منطقة غريس وهم أولاد سيد دحو بن زرفة و سيد أحمد
بن علي و أولاد سيدي عبد القادر بن المختار و أولاد سيدي محمد بن يحي و أولاد سيدي العيد الماقي و خلوية و سيدي

عطا الله و الزلامطة و أولاد سيدي علي بن المرين وفي هذا القسم خصص المشرفي حيزا كبيرا لذكر نسب وعلماء أسرته و تفريعاتها . أما في القسم الرابع فقد خصصه للتعريف بسيدي محمد بن علي المجاجي و ناقش مختلف الآراء حول نسبه و أصله . اعتمد المشرفي في كتابه هذا على جملة من المصادر وهي عقد الجمان و مختصر البيان لابن الجزري و غيرهما . للإشارة حقق هذا الكتاب مرتين لكن لم يسعفني الحظ و البحث في الظفر بأحد العاملين فلذا اعتمدت النسخة المخطوطة منه .

ب- تنوير قلوب أهل التقوى و المعارف بذكر نسب سادات غريس الموسومين بالمشارف

لمحمد بن الحاج البيدي المدعو بابن عبد الرحمن انتهى من كتابتها في شهر رمضان عام 1178 هـ وقفت له على نسختين إحداهما نسخة عن الأخرى و بالتالي اعتمدت المنسوخة عن الأصل لوضوحها .

قسم كتابه هذا إلى مقدمة و فصلين و خاتمة ، أما المقدمة ذكر فيها سبب تأليفه هذا و هو أنه سأل أحد الإخوان أن يضع في المشارة رسالة تبين نسبهم و فضلهم ⁽¹⁾ كما حدد موقعهم الجغرافي قائلا المشارف القاطنين بإزاء أم عسكر ⁽²⁾ . أما الفصل الأول فتطرق فيه إلى ذكر العائلات الكبرى في المشارف وهي أولاد السيد أحمد أبي الجلال و أولاد سيدي علي و أولاد سيدي عب و أولاد سيدي منصور مشيرا إلى أنه اقتصر على المشهور منهم ⁽³⁾ . أما في الفصل الثاني فتطرق إلى ما وقف عليه من شهادات العلماء حول ثبوت نسب هذه الأسرة واستند إلى شهادة مصطفى الرماصي و شهادة سيدي دحو بن زرفة و شهادة أبي زيد عبد الرحمن صاحب عقد الجمان ⁽⁴⁾ ، أما في الخاتمة فنبه إلى وجوب تعظيمهم و تقديرهم و إكرامهم ⁽⁵⁾ .

ج- الجواهر الصافية في بيان نسب البحايشية

السيد بن عودة بن آغة السيد الحاج محمد المازاري بن آغة السيد قدور الكبير ابن آغة السيد اسماعيل آغة بن السيد البشير الباحث الثاني يقع هذا المخطوط في 20 صفحة تمت كتابته بتاريخ السبت السادس عشر شوال 1302 هـ الموافق لـ 1885/07/29 ⁽⁶⁾ قسمه مقدمة و أربعة فصول .

تطرق في المقدمة إلى سبب تأليفه هذا الكتاب فقال : " أردت بحمد الله وضع تأليف أحقق فيه نسب البحايشية" ⁽⁷⁾ ، أما الفصل الأول فكان في رفع نسب البحايشية إلى غاية آدم عليه السلام ، الفصل الثاني في كونهم من بني هلال لا من بني مخزوم ، الفصل الثالث في سبب تسميتهم بالبحايشية و أول قادم منهم إلى الجزائر ، الفصل الرابع في ذكر فروعهم و سيرة أعلامهم . كما جاء في ختام لكتاب تقرير كل من محمد بن يوسف الزباني الذي مدحه بقصيدة طويلة و تقرير للشيخ أحمد نكروف الملباني الغريسي قال عن الكتاب : " يا له من كتاب جليل عزيز لقد أبلغ المراد فيه و أجاد" ⁽⁸⁾ .

أما عن المصادر التي استعان بها فقد ذكرها في مقدمة كتابه وهي تواتر الأخبار و كتب الأئمة مثل الوسائل إلى معرفة القبائل لأبي راس و ترجمان العبر لابن خلدون و عقد الجواهر فيمن سكن المعسكر للقاضي محمد بن مولاي على الشريف .

كيفية توثيق نسب الأسر الشريفة بمنطقة معسكر :

بعد الإطلاع على شجرتين الأولى لأسرة المشرفة و الثانية تخص أسرة سيدي دحو بن زرفة فإن توثيق نسب هاتين الأسرتين يكون على النحو الآتي :

في مخطوطة ذات ورق ملفوف يكتب أولا عقد الجمان النفيس كون هذا الكتاب ضم أسماء الأسر الشريفة بمنطقة معسكر ، ثم أسفله توضع تقاييد للعلماء يثبتون من خلالها شرف هذه الأسرة فمثلا في ملفوفة أسرة المشارفة نجد عقد الجمان النفيس ، ثم بعد ذلك تقاييد للبيدري المسمى تنوير قلوب أهل التقوى و المعارف السابق الذكر وتقيد آخر للشيخ بوعمران ، على الحواشي نجد أختام قضاة و علماء يشهدون لهذه الأسرة بالشرف لكن لسوء حفظ هذه المخطوطة صعب عليّ قرأت هذه الحواشي وطول هذه الملفوفة 02 م .

أما أسرة سيدي دحوفنفس الشينى نجد في البداية عقد الجمان النفيس ، ثم تقاييد لبعض العلماء حول صحة نسب وشرف سيدي دحو و في الحواشي أختام لفقهاء و قضاة يشهدون بصحة نسب هذه الأسرة ، ومن مميزات هذه المخطوطة الملفوفة أن في بدايتها نجد ختم الزهار آخر نقباء الأشراف في الجزائر وطولها حوالي 03 م .

أما الطريقة الثانية فهي أن يكتب عمود نسب أسرة معينة ثم يعرض على الفقهاء والعلماء والقضاة حتى يشهدوا بصحته ويضعون أختامهم أسفل هذا العمود ، ومثال ذلك عمود أسرة بوشنتوف⁽⁹⁾ .

مخطوط رد العربي المشرفي (10) على أبي راس الناصر :

رغم أن هذا الكتاب لم يرد ذكره في قائمة مؤلفات المشرفي التي أوردها في كتابه ذخيرة الأواخر ورغم أن كل من ترجم له لم يذكره ، إلا أنه لا شك عندي في نسبة هذا المخطوط له وهذا لعدة قرائن وهي كالآتي :

1- ذكر اسمه في بداية المخطوط إذ قال : " يقول أفقر العباد إلى مولاه العلي أبو محمد العربي بن علي المشرفي الحسنى " (11) .

2- إحالته في هذا المخطوط إلى أحد مؤلفاته وهو الحسام المشرفي إذ قال : " وقد ذكرناهم في تاريخنا الذي ألفناه في الرد على عالم مراکشة الفقيه الكنسوس المسمى بالحسام المشرفي لقطع لسان الجعري الناطق بخرافات الجعسوس سين الظن الكنوس " ، وهذا يؤكد نسبة الرد إلى المشرفي بما لا يدع مجال للشك .

3- تشابه بعض المعلومات خاصة فيما يمس بتراجم أسرة المشارفة مع ملاحظة أن العربي المشرفي ينوه بفضل هذه الأسرة وأعلامها في أغلب المؤلفات التي اطلعت عليها ، مثال ذلك ذكره لثراء الشيخ الرماصي لعمره التزاري في غير واحد من كتبه .

يظهر مما ورد في المخطوطة أنها كتبت على مرحلتين المرحلة الأولى سنة 1285 هـ⁽¹²⁾ وفي هذا الصدد يقول المشرفي : " وبعده ملكه الأشراف العلويون ولا زال ملكهم به الى زمن التاريخ وهو عام 1285 " ، أما تاريخ الإنتهاء منه فهو في : غرة ذي القعدة حرام سنة 1292 هـ⁽¹³⁾ ، ولعله يمكن تعليل سبب تأخره في إنهاء الرد طوال هذه الفترة إلى عاملين :

- انشغاله بتحصيل قوت يومه و عياله خاصة وأنه كان فقير الحال يقول في هذا الصدد : " ولا واليت النظر فيه مرتين لشغل الظاهر منا و الباطن ولا سيما من لا ثروة له في هذه المواطن و العيال و الأولاد كل يوم تطلب منا الزاده " .

- انشغاله بتأليف وإنهاء كتب أخرى حيث أنه أنهى كتابه الحسام المشرفي في 19 محرم 1285 / 12 ماي 1868 ، وأنهى كتابه الآيات والحوادث في 29 صفر 1285 / 21 جوان 1868.

ومن خلال المخطوط يتضح أن أحدهم سأل العربي المشرفي أن يكتب رداً على قوم استحلوا أعراض السادات المشارف وسبوا بعضهم إذ يقول : " وهذه مبيضة عجالة ألفها كاتبها مسؤولة منه لسائله " ⁽¹⁴⁾ . وإن كان المشرفي لم يصرح باسم من سألته لكن أرجح أنه محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي السابق الذكر ، والذي كان يزور الجزائر كثيراً ، حيث أنه أفرد مبحثاً في ذكر نسبه ونسب أسرته في رده السهام الصائبة الذي أشرنا إليه سابقاً ⁽¹⁵⁾ .

إذن سبب التأليف هو الرد على من سب أسرة المشارفة ، ثم في ثنايا المخطوط يصرح المشرفي أن القوم الذين لمح إليهم في المقدمة ما هم إلا الشيخ أبوراس الناصر إذ يقول : " ثم أن النفس الأمارة بالسوء حملته على أن تكلم في المشارف " ، أي أن سبب تأليفه لهذا المخطوط هو الرد على أبي راس الناصر الذي نفى حسب زعمه الشرف عن كل أشرف غريس .

ابتدأ المشرفي رده هذا بالتعريف بنفسه وذكر اسمه ثم بمقدمة بين فيها فضل أهل البيت ومكانتهم مستدلاً بآيات قرآنية ومحدراً ممن تراوده نفسه الطعن والتكلم فيهم ، ثم بين سبب تأليفه هذا فقال : " فإن براءة الاستهلال توطئة لقوم استحلوا أعراض السادات المشارف والقادات الغطارف غاية الاستحلال فسبوا بعضهم من ذريتهم " ⁽¹⁶⁾ ، ثم نوه بفضل أسرة المشارفة ومكانتهم خلال العهد العثماني ، هنا عرج إلى أصل الأتراك ونبذة من تاريخهم مطيلاً في شرح لفظة التركمان مشيراً إلى تعاقب السلاطين العثمانيين الذين عاصروهم ، وكذا علاقة الأتراك والعثمانيين بالجزائر بالعلماء وخصوصاً المشارف ، ناقلاً مشاهداته أو ما سمعه خلال دراسته بوهران .

وهنا ينتقل لترجمة علماء المشارف الذين كان صيتهم مشهوراً وعلمهم مرفوعاً كالشيخ عبد القادر المشرفي و السقاط المشرفي ناقلاً لأشعارهم وإجازاتهم وحالهم أثناء التدريس ، بعد ذلك ينتقل مباشرة إلى ذكر السبب الحقيقي لتدوينه هذا الكتاب وهو الرد على أبي راس الذي حسبته نفى الشرف عن أشرف منطقة غريس وبالخصوص المشارف معلاً ذلك بالحسد والنفس الأمارة بالسوء ، ليرد عليه مستدلاً بما سطره ابن الجزري الكلبي وما جاء في عقد الجمان النفيس وبما تواتر لدى العامة من أنهم أشرف ومستشهدا بما جاء في بانية سيدي عيسى بن موسى ومرثية الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمرو الترابي .

بطبيعة الحال هذه القرائن التي استند إليها في رده على أبي راس تخدم الموضوع كونها خاصة بأعيان وشرفاء وعلماء المنطقة وبالتالي كان موقفاً في اختيار أدلته وبراهينه .

لينحرف بعد ذلك عن موضوعه بذكر تاريخ البربر والفرق بين المرباط والزناطي وأصل البربر ، ثم الحديث عن الدول الإسلامية المتعاقبة وتاريخ كل دولة وتاريخ بناء مدينة فاس ، وقد أخذ هذا حيزاً كبيراً من الرد وهذا خطأ منهجي .

ثم نوه المشرفي بحكم الساب واللاعن لذرية النبي صل الله عليه واله وسلم في مختلف المذاهب مستشهداً بما جاء في كتاب وصلة الزلفى ، يظهر لي بعد مقارنة هذا الكلام بما ورد في فتح الرحمن في شرح عقد الجمان أنه نقل هذه الأحكام الفقهية منه بالحرف ، بالتالي نستنتج أنه كان كثير النقل من مصادر أخرى وكان واسع الإطلاع .

ليختم المشرفي رده هذا باعتذار عن تقصيره وقصور فكره معللا ذلك بانشغاله في كسب قوته وقوت عياله ، ثم يدعم رده هذا بمجموعة أشعار منها ما يخدم موضوعه كقصيدة السنوسي الدحاوي في مدح أسرة المشرفي و قصيدة لابن عبو المشرفي تبين علاقة المشاركة ببقية الأسر الشريفة بمعسكر خاصة سيدي دحو ، ومنها ما لا يخدم موضوعه كقصائد عبد القادر الجيلاني و قصيدة الإشبيلي .

عموما كان منهج المشرفي معتمدا على السرد ونقل أكبر عدد من النصوص التي تبين فضل وقدر آل المشرفي و علماء أسرة المشاركة ، وان لم يذكر أدلة الشيخ أبي راس في طعنه في نسبهم مما يؤكد أنه لم يطلع على ما كتبه هذا الأخير . كتابات أبي راس الناصر⁽¹⁷⁾ في علم النسب :

هل كتب أبو راس الناصر في علم النسب ؟ الجواب نعم . فبرجوع إلى كتابه فتح الإله نجد أنه ذكر عدة عناوين منها : شرح القعد النفيس في ذكر الأعيان من أولياء غريس ، و عنوان شرح الجمان للشيخ عبد الرحمن⁽¹⁸⁾ ، و عنوان مروج الذهب في نبذة من النسب ومن انتهى إلى الشرف و ذهب⁽¹⁹⁾ ، الذي هو حسب ما جاء في الدر المهدي هو شرح آخر للعقد الجمان إذ يقول أبو راس الناصر : " وانظر كتابنا مروج الذهب في ذكر من للولاية انتهى و ذهب شرح النفيس في ذكر الأعيان من أهل غريس"⁽²⁰⁾ ، ذكر يحي بوعزيز عناوين أخرى وهي إيضاح الغميس لشرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أهل غريس و عنوان أساس البنين لشرح الجمان لشيخ عبد الرحمن⁽²¹⁾ .

بطبيعة الحال كل هذه العناوين هي في حكم المفقود ، كذلك ورد عنوان آخر للشيخ في باب النسب في فهرس مخطوطات مكتبة الجامع الأعظم بتازة ، و وقفت له على مخطوطة في أنساب أشرف غريس نسخها الأستاذ جلول الجيلالي و سبق وأن أشرت إليها في الفصل السابق لكن محتواها و أسلوبها بعيد كل البعد عن أسلوب أبي راس الناصر و لستة ما جعلني أستبعد نسبتها إليه .

إنه من المحال بمكان من هذه العناوين التأكد إذا ما كان الشيخ أبو راس قد طعن في أنساب أشرف المنطقة كما قال المشرفي أم لا ، و يظهر لي بعد قراءات متعددة لمخطوط المشرفي أنه لم يطلع على ما سطره الشيخ أبو راس ، و إنما بلغه أن الشيخ نفي الشرف عنهم و دليل ذلك أن المشرفي لم يورد و لو نص واحد من كلام أبي راس يثبت مزاعمه .

يبقى هناك مخطوط واحد وهو كذلك في حكم المفقود أشار إليه السيد 1. GUIN تحت عنوان أنوار البرجيس في شرح العقد النفيس . قبل الحديث عن فحوى ومحتوي ما قاله هذا الباحث نطرح سؤال هل أنوار البرجيس هذا هو أحد شروح عقد الجمان التي ذكرها أبو راس في فتح الإله ؟ أم هو شرح آخر له ، إذ المعروف عن أبي راس أنه قد يشرح نظما أو كتابا عدة شروح ، مثال ذلك أنه شرح منظومة العقيدة سبعة شروح⁽²²⁾ . لا يمكن في نظري الإجابة على هذه الأسئلة ما لم نطلع على هذه المخطوطات والتي هي في حكم المفقود حتى الآن .

نعود إلى مقال السيد 1. GUIN بعنوان DE LE SUPPRESSION DU MANUSCRIT

⁽²³⁾ ، أي إتلاف المخطوط ، فيذكر صاحب المقال أنه تم إتلاف هذا المخطوط (أنوار البرجيس)⁽²⁴⁾ من طرف أشرف المنطقة وخص بالذكر المشاركة و أولاد سيدي دحو و أولاد سيدي قادة⁽²⁵⁾ ، ثم أشار أن الذي بإشراف هذه المخطوط هو كل من السنوسي بن عبد القادر و سي الحاج محمد بن مصطفى⁽²⁶⁾ . إذن يظهر جليا و يتأكد أن الشيخ أبو راس حقيقة تكلم في

بعض أنساب أشراف المنطقة وإلا لما تحمل هؤلاء عناء إتلاف هذا المخطوط . و مما يؤكد ذلك قول صاحب القول الأحوط : " غير أنه _ يعني أبو راس _ بعد موته بأمد حصل له نقض عند أهل الراشدية و سببه أنه ألف كتابا في النسب و صحح فيه من هو شريف من غيره فحصل الإنكار عليه بذلك " (27) ، بل إن صدى هذا الأمر وصل حتى إلى الصحراء فقد ورد في مخطوط لتاريخ الزاوية البكرية ما يلي : " قال صاحب كتاب عجائب الأسفار يتعذر معرفة الأشراف في وقتنا لإندماجهم في البرابر و العرب وقد نفى الكثير من الأشراف لهذا السبب " (28) . ولعل ما يزيد في توثيق هذه الآراء و تدعيمها قول الشيخ أبي راس الناصر في كتابه زهرة الشماريخ ما يلي : " أن النسب و التاريخ ضعفا في هذا الزمان و إندرسا فلا يكاد يتفق فيه اثنان حتى يقع اختلافا كثيرا في الأمة الواحدة لإختلاط الأنساب ... " (29)

فإذا ثبت أن الشيخ أبو راس الناصر حقيقة تكلم في النسب و نفى نسبة بعض الأسر الغريسية ، وكان قبل ذلك شهد لمشارف أنهم أشراف كما أشار المشرفي بقوله على لسانه : " وقال أنهم من دوحة الشرف " (30) . فلما تراجع أبو راس عن رأيه الأول ؟ هل حقيقة كما قال المشرفي من باب الحسد ؟ لكن لما يجسدهم إن كان لأجل الشرف فهو يصرح بأنه شريف ، وإن كان لأجل العلم فهو كذلك عالم وقد أقر له القريب و البعيد بالعلم و إن كان لأجل المناصب فهو كذلك تقلد مناصب عديدة و إن كان من أجل التقرب من الحكام فهو كان قريب منهم و معدودا من علماء البلاط . وإذا ثبت أنه نفى الشرف عن أعيان و أشراف المنطقة فمن باب أولى أن ينفي نسبه هو ، خاصة أن الذين نفى نسبهم هم من شهدوا له بأنه شريف ، حيث شهد له كل من الشيخ مصطفى بن المختار من ذرية سيد قادة و الشيخ عبد القادر بن السنوسي من ذرية سيدي دحو (31) ، علما أنه و حسب رواية GUIN 1. فإن السنوسي بن عبد القادر وهو ابن عبد القادر بن السنوسي سابق الذكر هو الذي باشر إتلاف مخطوط أبي راس .

أما بالنسبة للمخطوط الذي أشرت إليه سابق في الفصل الثاني في مبحث كتابات الجزائريين في علم النسب ، فبعد الإطلاع عليه و مقارنة مضمونه و أسلوبه مع بقية مؤلفات أبي راس الناصر التي تمكنت من الإطلاع عليها ، ظهر لي أنه ليس من تأليفه و مثله في ذلك كتاب درأ الشقاوة و الذي قام بنسخه نفس الأستاذ جلول الجيلالي (32) ، عليه ترجح لي أن هذا الكتاب ليس من مؤلفات أبي راس ولا يمكن الوثوق بما جاء فيه .

موقف المشرفي من قضية النسب :

يفتخر المشرفي كثيرا بنسبه فما من مؤلف له و ققت عليه إلا و يشيد بنسبه و أنه شريف و عليه يرى أنه يجب على العامة تعظيم الأشراف (33) ، بل يذهب إلى أن من سب أهل البيت فقد خرج من الدين (34) لأن الساب لهم ساب لرسول الله و الساب لرسول الله ساب لله و الساب لله كافر لا مجال للحديث الذي رواه الحاكم في مستدركه عن أم سلمة قالت قال رسول الله صل الله عليه وآله وسلم : " من سب عليا فقد سبني و من سبني فقد سب الله تعالى " (35) ، قال القاضي عياض : " و سب آل بيته و أزواجه و أصحابه و تنقصهم حرام ملعون فاعله " (36) . كما يستدل على فضل أهل البيت بقوله تعالى : " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا " (37) .

موقف المشرفي هذا من أهل البيت و وجوب محبتهم و تعظيمهم ليس بجديد فقد سبقه إلى ذلك كثير من العلماء ، فقد نقل الورتلاني عن الشيخ أحمد زروق قوله : " إنه يجب على الناس تعظيم الأشراف أي تعظيم و محبتهم لوجه جدهم

الذي انتموا اليه وانتسبوا اليه⁽³⁸⁾. لكن المرفوض من هذه المواقف هو قول الورتلاني مثلا : " وإن وقعت منهم الأذية لأحد فيجب أن يعتقدها كالأمر السماوي من الله"⁽³⁹⁾ ، ومن قبيل الغلو ذاك قول المشرفي عن أبي راس الناصر : " ومن أجل طعنه في نسبهم صرصرت الريح العقيم على ذريته فأجيجت فصار كأنه لم يعقب عقبا من ذكر يذكره أو أنثي تحمد عاقبتها وتشكر"⁽⁴⁰⁾.

مواقف المشرفي من أبي راس الناصر :

بعد الإطلاع على بعض مؤلفات المشرفي يمكن أن نخرج بموقفين له من شخص الشيخ أبي راس الناصر :

أ – موقف العداء والطنن :

لم يدخر المشرفي في رده على أبي راس الناصر جهدا في الطعن في شخصه و وصفه بأوصاف تقدرح في عدالته ، حيث وصفه بالحسد حيث قال : " وقد نظر الشيخ أبو راس في المشارف و أولاد سيدي دح وقت نفيه النسبة عنهم بعين السخط"⁽⁴¹⁾ ، و وصفه المشرفي وإن لم يصرح باسمه بالفسق على أساس أن من طعن في نسب الأشراف فقد فسق واستشهد بحديث رسول الله قتال المسلم كفر و سبابه فسق⁽⁴²⁾. وقد تمادي المشرفي في تجريجه لأبي راس الناصر حين تكلم عن ذرية هذا الأخير فقال ما نصه : " ومن أجل طعنه في نسبهم صرصرت الريح العقيم على ذريته فأجيجت فصار كأنه لم يعقب عقبا من ذكر يذكره أو أنثي تحمد عاقبتها وتشكر"⁽⁴³⁾ ، و حقيقة كان على المشرفي أن يترفع عن مثل هذا الكلام خاصة وأنه سيشير لاحقا إلى بعض حفدة الشيخ أبي راس الناصر ويثني عليهم .

ب – تراجع المشرفي عن موقفه السابق :

إن المشرفي متغير المزاج وبالتالي مواقفه تتبع مزاجه وعليه لا يمكن التأكد من مواقفه إلا بوضعها في إطارها الزمني والمكاني الصحيح ، وبالنسبة لموقفه من أبي راس نلاحظ أنه سيتغير عما ذهب إليه في الرد ، حيث سيتغير كلياً في كتابه ذخيرة الأواخر والذي ألفه بعد تأليف الرد حيث انتهى منه سنة 1299 هـ⁽⁴⁴⁾. وصف المشرفي في كتابه هذا الشيخ أبا راس بالأوصاف الآتية : " كانت للشيخ أبي راس المذكور اليد الطولي في التاريخ العربي والعجمي من أول الدنيا إلى آخرها وكان في علم الفروع آية وفي السيرة النبوية والتاريخ حافظا و حجة رحمه الله "⁽⁴⁵⁾ ، و وصفه مرة أخرى فقال : " العلامة أبو راس المعسكري "⁽⁴⁶⁾ ، وأشار إلى حفيده ابن بنته واسمه أبو راس المازوني وأنه كان من علماء الفقه المشهورين⁽⁴⁷⁾ حيث أشار الحفناوي أنه كان مفتي مازونة⁽⁴⁸⁾. فنلاحظ هنا تغير موقف المشرفي من أبي راس الناصر و من بعض ذريته .

خاتمة :

أثناء هذه الدراسة تعرضنا لبعض كتب الأنساب التي ألفها علماء منطقة معسكر أو التي ألفت حولهم و تمكنت من الإطلاع عليها ، وبعد مقارنة المعلومات ظهر أن بعض هذه الكتابات لم تخضع لمعايير علمية دقيقة حتى وجدنا للأسرة الشريفة الواحدة في بعض الأحيان عدة أعمدة نسب ، مما يحمل على الشك في تحريف هذه الكتب أو الزيادة في أصلها ، وهذا ما يطرح إشكالية مصداقية هذه المصادر .

يظهر أن قضية النسب أو الانتساب للبيت النبوي الشريف أخذت حيزا كبيرا من اهتمامات علماء ، أعيان و أشراف الجزائر عموما ، والغرب الجزائري خصوصا ، و الراشدية أرض غريس على وجه أخص ، و تبقى هذه الكتابات مصدرا هاما من مصادر تاريخ الجزائر و مرآة تعكس الذهنية الجزائرية آنذاك .

إن رد المشرفي على أبي راس الناصر لدليل على استمرارية الجدل القائم الذي كان خلال فترة التواجد التركي ، و استمر إلى ما بعد الاحتلال الفرنسي ، وإن هذا الرد حاول فيه صاحبه التأصيل و التأكيد على انتماء أسرة المشارفة إلى البيت النبوي ، لكن للأسف فمعظم مخطوطات الشيخ أبي راس التي تتحدث عن هذا الموضوع و حيث يمكن للمطلع عليها أن يعرف حقيقة هذه الدعوي هي الآن في حكم المفقود و بالتالي لا يمكن الجزم في أمر هذا الخلاف ما لم نطلع على ما سطره الشيخ أبو راس الناصر .

تدخل هذه المخطوطات التي نحن بصدد دراستها ضمن هذا الصراع الفكري ، فأهميتها من جهة أنها تعد ضمن كتابة التاريخ المحلي بناحية غريس من معسكر ، و من جهة أخرى كونها تتناول موضوعا حساسا ألا وهو ثبوت نسب أسر معينة و من جهة ثالثة هو المناقشة العلمية بين الشيخ أبي راس الناصر و العربي المشرفي ، الذي لم نظفر بأحد قد رد عليه على حسب اطلاعي . كما تكمن أهمية هذه المخطوطات أيضا في كون أصحابها قد ترجموا فيها لكثير من علماء المعسكر الذين كان صيتهم مشهورا و علمهم مرفوعا خلال العهد العثماني .

الإحالات والهوامش :

- 1 - الببيدي : تنوير قلوب أهل التقوى بنسب سادات غريس الموسومين بالمشارف ، مخطوط مصور بمكتبة خاصة ، اللوحة 01
- 2 - الببيدي : المصدر السابق ، اللوحة 01
- 3 - المصدر السابق ، اللوحة 02
- 4 - نفسه ، اللوحة 3- 5
- 5 - نفسه ، اللوحة 5
- 6 - بن عودة بن محمد المازاري : الجواهر الصافية في بيان نسب البجائية ، مخطوط مصور بمكتبة خاصة ، اللوحة 20
- 7 - بن عودة بن محمد المازاري : نفس المصدر ، اللوحة 01
- 8 - بن عودة بن محمد المازاري : المصدر السابق ، اللوحة 20
- 9 - مخطوط مصور بمكتبة خاصة بمعسكر
- 10 - هو أبو محمد العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي تاريخ ميلاده ما بين 1804 و 1805 . يعتبر من أغزر علماء الجزائر إنتاجا فكريا حيث أحصى له أبو القاسم سعد الله 28 عنوانا رتبها ترتيبا أبجديا ، ثم جاء الباحث عبد الحق شرف و أحصى له 32 عنوانا رتبها حسب مضامينها ، ذكر العربي المشرفي في كتابه ذخيرة الأواخر 11 عنوانا . وافته المنية سنة 1313 هـ / 1895 م ، وقيل أنه توفي سنة 1893 ، والأول مشهور . انظر ترجمة المشرفي :
- العربي المشرفي : رد العربي المشرفي على أبي راس الناصر في قضية نسب أسرة المشارفة ، دراسة و تحقيق تقي الدين بوكعب ، رسالة ماجستير تاريخ الجزائر الحديث جامعة وهران 2013_2014
- 11 - المشرفي : رد العربي المشرفي على أبي راس الناصر ، مخطوط مصور بمكتبة خاصة ، اللوحة 01
- 12 - الموافق لـ 1868 م

- 13 - الموافق لـ : 1875 م
- 14 - العربي المشرفي : الرد ، اللوحة 37
- 15 - تبقى هذه الفكرة فرضية حتى نطلع على ما سطره محمد المشرفي في سهامه
- 16 - المشرفي : الرد ، اللوحة 03
- 17 - هو الإمام الحافظ الهمام و شيخ الإسلام ومفتي الأناضول أبو راس محمد بن أحمد صاحب المصنفات الشهيرة والتحقيقات الغزيرة ترجم لنفسه في كتابه فتح الإله ولد بالقرب من معسكر بين جبل كرسوط وهونت على ما قيده بنفسه في المصدر السابق وهذا سنة 1150 هـ الموافق لـ 1737 توفي الشيخ رحمه الله يوم الأحد 15 شعبان 1238 الموافق لـ 27 أبريل 1823م وقد تجاوز التسعين سنة ودفن قرب داره ومسجده حيث ضريحه المعروف به اليوم انظر :
- أبوراس الناصر : فتح الإله ومنتته بالتحدث بفضل ربي ونعمته ، تحقيق محمد بن بد الكريم ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1990
- 18 - أبوراس : فتح الإله ، ص 180
- 19 - أبوراس : المصدر السابق ، ص 181
- 20 - أبوراس الناصر : الدر المهيدي في شرح غوثية أبي المهدي ، مخطوط مصور بمكتبتي ، اللوحة 02
- 21 - يحي بوعزيز : موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ، ج 01 ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع 2004 ن ص 168
- 22 - أبوراس : فتح الإله ، ص 181
- 23 - I. GUIN : DE LE SUPPRESSION DU MANUSCRIT, R A, V 31-1887 , PP 72-80
- 24 - يعطي يحي بوعزيز عنوان آخر للمخطوط الذي تم إتلافه حيث يقول عن مروج الذهب هذا الكتاب هو الذي ضيعوه أولاد سيدي دح على ما قيل . انظر : - يحي بوعزيز : موضوعات وقضايا ، ص 170
- 25 - I. GUIN : ibid , P 78
- 26 - Op.cit , P 78
- 27 - جورج دالفان : القول الأحوط ببعض ما تنتشر من علوم بالمغربين الأقصى والأوسط ، مخطوط مصور ، اللوحة 04
- 28 - محمد البكراوي : تاريخ الزاوية البكرية ، مخطوط مصور بأدرار ، اللوحة 102
- 29 - أبوراس الناصر : زهر الشماريخ في علم التاريخ ، تقديم وتحقيق حبيب يعقوب ، دار الحمراء للنشر والتوزيع بلعباس الجزائر 2014 ، ص 37
- 30 - المشرفي : الرد على أبي راس ، اللوحة 13
- 31 - أبوراس : فتح الإله ، ص 29
- 32 - توجهت إلى بيت السيد جلول الجيلالي لأسأله عن هذا المخطوط فقال لي أنه يحوي زيادات كثيرة وهي زيادات النساخ .
- 33 - المشرفي : الرد على أبي راس ، اللوحة 14
- 34 - المصدر السابق ، اللوحة 34
- 35 - الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين ، ج 4 ص 212 ، رقم الحديث 4617
- 36 - القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيق أحمد فريد المزيدي ج 02 ، المكتبة التوفيقية ، ص 325
- 37 - سورة الأحزاب آية 33
- 38 - البورتيلاني الحسين بن محمد : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، قام على خدمتها محفوظ بوكراع وعمار بسطة ، ج 01 ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع الجزائر 2011 ، ص 247
- 39 - البورتيلاني : المصدر السابق ، ص 247
- 40 - المشرفي : الرد على أبي راس ، اللوحة 12
- 41 - المشرفي : الرد على أبي راس ، اللوحة 13
- 42 - المشرفي : المصدر السابق ، اللوحة 34
- 43 - نفسه ، اللوحة 12

- 44 - المشرقي : ذخيرة الأواخر والأول فيما ينتظم من أخبار الدول ، دراسة وتعليق عبد المنعم القاسمي الحسني ، ماجستير أصول الدين جامعة الجزائر مارس 2001 ، ، ص 115
- 45 - المشرقي : المصدر السابق ، ص 04
- 46 - العربي المشرقي : فتح المنان بشرح قصيدة ابن الونان ، مخطوط مصور ، اللوحة 25
- 47 - العربي المشرقي : ذخيرة الأواخر ، ص 91
- 48 - الحفناوي أبو القاسم محمد : تعريف الخلف برجال السلف ، ، ج 02 ، ص 578